

يقوتني الحكمة من إيشاء ومن يقرت
الحكمة فقد أوتيت حيوياً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المحكمة

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق

ومصر في يوم الخميس ١ محرم الحرام سنة ١٣١٨ * ٣٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٠

بين الدنيا والآخرة

(٢)

بيننا في المقالة الاولى ان الانسان مادي روحاني وان عوارض المادة
تقلب عليه أولاً فتكون عناية مصروفة لتحصيل الذات الجسدية والمنافع
المادية التي تجعله سعيداً في حياته الدنيا ثم يظهر فيه الميل الى الذات الروحية
والمعارف العقلية فتكون فيه ضعيفة تحتاج الى تقويتها بالارشاد السماوي
وهو الدين

ونقول الآن ان العمل لتحصيل المنافع المادية له طرف نقص وطرف
كامل فالأول ان يعمل الانسان لنفسه فقط ولا يبالي في سبيل لذته بسائر
الناس أضرهم عمله أم قعمهم والثاني ان يعمل لنفسه ولغيره ولهذا الكمال
درجات أدناها ان يعمل لمنفعة أهله وعشيرته وأوسطها ان يعمل لمنفعة
وطنه وأمته وأعلاها ان يكون مرمي طرفه بمنفعة أبناء جنسه والناس أجمعين
والمنافع الروحية العقلية تنقسم أيضاً الى هذه الأقسام والدرجات
ما خلق الله الانسان ليعتته وما كلفه بان يقرب طبيعته . خلق آدم

وخلق زوجته ليسكن اليها وأمرهما بأن يتمتا باللذات الجسدية ونهاهما عن
 الاكل من شجرة واحدة ليتعلما بذلك كيف النفس عن الشهوات فان من
 لا يستطيع كف نفسه عن شيء مما يشتهي تورده موارد الهلكة وتقذف به
 في هاوية الشقاء. قص الله علينا قصة آينا آدم لنسترشد بهائم قال مخاطبا لنا
 ممتنا علينا بالمنافع الدنيوية ﴿ يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم
 وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله اعلمهم يذكرون ﴾
 فالاول ما لا بد منه والثاني للزينة والثالث للتوقي من الحرب فاستوفى
 أقسام اللباس كلها. ثم حذرنا من الفتنة التي نزعنا عن ابونا لباسها وأظهرت
 سوءاتها وأخبرنا أنه أمر بالقسط والاعتدال في الامور كلها ثم أمرنا
 بالعبادة الروحية فقال ﴿ قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل
 مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴾ الآية. ثم بين أن الزينة لا تنافي العبادة
 بل تجامعها وتلازمها وان العبادة لا تؤدي الى ترك اللذات الحسية الممتدة
 بل تستعقبها وتنتهي اليها فتكون ثمرة للدين في هذه الحياة وفي الحياة الاخرى
 وقال ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكواواثر ربوا ولا تسرفوا
 انه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من
 الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل
 الآيات لقوم يعلمون ﴾ ولو لا انه قل خالصة يوم القيامة لفهم ان غير المؤمن
 لاحظ له في لذات الدنيا وقد كررنا التنبيه على هذا في المنار ليقله الذين
 سجلوا على المسلمين الحرمان من الطيبات لانهم مؤمنون مسدون. ولما
 كان الافراط في اللذة والاسراف في الزينة يؤديان الى التواش والناثم
 والبغى والتعدي أخبرنا انه لا ينهانا من حيث الدنيا الا عن هذه الاشياء كما

انه لا ينهانا من حيث الدين الا عن الشرك وان نقول جللى الله ما لا نعلم .
ومنه ان نزيد في دين الله تعالى عبادة أو تحريماً أو تحليلاً فقال « قل انما
حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبنى بغير الحقى وان
تشركبوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون »

هذه الآيات خطاب عام من الله جل ثناؤه لنبى آدم اجمعين فهى أصل
الاديان كلها ولذلك عقبها بقوله « يا بنى آدم اما يا تينكم رسل منكم يقضون
عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » ثم
فصل الوعيد والوعد ووصف العقوبة والثوبة وأقام الدليل والبرهان
واستلقت العقل واستصرخ الوجدان وأنشأ بعد هذا كله يقص على هذه
الامة أخبار الامم مع المرسلين وما أخبرنا ان رسولا منهم كلف قومه بان
يكونوا روحانيين خلصا يرضون عن عمارة الدنيا ويجعلون عملهم كله للآخرة
بل كانوا يمتنون عليهم بالتمكن في الارض والخلافة والاستعمار فيها وسعة الرزق
وكثرة العدد وبسطة الملك والعزة والقوة وينهونهم عن الشرك والمفاسد التي
تزيل هذه النعم اقرأ ان شئت قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام
« واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة
فاذكروا آلاء الله لعلكم تفتحون » وقوله عنه ﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا
مجرمين﴾ الى قوله « فان تولوا فقد ابلتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربى قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربى على كل شيء حفيظ » وقوله تعالى
في قصة صالح عليه السلام (والى هود اخاه صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروا ثم توبوا
إليه إن ربي قريب مجيب) وقوله تعالى حكاية عنكم (واذكروا إذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال
بنوتاً واذكروا آلاء الله ولا تعشوا في الأرض مفسدين) وقوله تعالى في قصة
موسى عليه السلام (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقوله تعالى (وأورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة
ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه
وما كانوا يعرشون)

ومن يقرأ التوراة لا يكاد يرى فيها ذكر الآخرة لا ترغيباً في جنتها ولا
ترهيباً من نارها وإنما يرى تكثير الذنوب فيها بتقديم القرابين من الذبائح
والحرقات وغيرها فهي عقوبة بتفويت شيء من الدنيا عليهم ويرى العبادات
معملة بالشكر على الخلاص من نقمة أو الإتحاف بعمدة ففي الباب ٢٣ من
سفر الخروج ما نصه (١٤) ثلاث مرات تعيد لي في السنة ١٥ تحفظ عيد
القطير تأكل فطيراً سبعة أيام كما أمرتك في وقت شهر أيب لأنه فيه خرجت
من مصر ولا يظهر وأمامي فارغين ١٦ وعيد الحصاد أبكار غلاتك التي
تزرع في الحقل . وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاتك من الحقل
١٧ ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب اه) هكذا
وعيد التوراة البلاء في الدنيا بأذهاب الرزق والسلطة والاجلاء من الأرض
ووعدها التمكّن في الأرض وسعة الرزق فيها قال في الباب الرابع من سفر
التثنية (٤٠) واحفظ فرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم لكي يحسن إليك وإلى

ولادك من بعدك)

وقال تعالى حاكياً عن الأمم بالاجمال بعد ما قص أخبارهم مع المرسلين
(ولو ان أهل القرى ^(١) آمنوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض ^(٢) ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون)

يدلنا كل هذا على صحة ما جاء به الاسلام من ان الله تعالى جعل الدين
لمصلحة الناس لا لاعنائهم والخروج بهم عن طبيعة بشرتهم وعلى تحقيق
ما ذهب اليه أستاذنا في (رسالة التوحيد) من ان سنة الله في الانسان
منفرداً كسنته فيه مجتمعاً طفولية فتميز تدريجي فرشد وعقل وقد أعطاه
الله تعالى في كل طور ما يليق بحاله من تعاليم الدين . ولما استعد النوع
الانسانى لفهم حقيقة الانسان ولقيام بما تطالبه به الانسانية من حيث
جسديته وروحانيته معا أرسل الله في أثر أوامرك المرسلين السيد المسيح
عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى مقابل ما هم فيه أو نقيضه يدعوهم
لان يتركوا الدنيا بالمرّة ويكونوا روحانيين خلاصاً لتكون دعوته تمهيداً
للدعوة المعتدلة الممكنة التي تكون من بعده وهذه هي الطريقة المثلى في
الارشاد يدعى الواقف عند أحد طرفي الافراط أو التفریط الى الطرف
الآخر ليكون مبلغ جهده في الاجابة الوصول الى الوسط

جاء في الباب ١٩ من انجيل متى ما نصه (٢٣) فقال يسوع لتلاميذه

(١) المراد بأهل القرى الأمم الذين بعث فيهم الانبياء والقرى المدن ولم
يبعث الانبياء في أهل البادية لانهم أبعد عن مبادئ الاجتماع المعبر عنه بالمدينة
والاديان انما تدعو للاجتماع وأهل المدن أقرب اليه لما عندهم من مبادئه (٢) أي
لوسعنا عليهم الخير ويسرناه من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات اه بيضاوى

الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني الى ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضا ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله ٢٥ فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين اذن من يستطيع ان يخلص ٢٦ فنظر اليهم يسوع وقال لهم هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع) وهذه المسئلة المذكورة في غير انجيل متى أيضا وفي معناها كلمات أخرى في الانجيل . أنذر الاغنياء بسوء العاقبة وأمر بالخضوع لكل سلطة ومنفرة كل ذنب لكل أحد ومحبة الاعداء وذكروا ان اللذات الجسدية لا تكون لاهل الحق الا في الملكوت حيث تكون اللذات الروحية كقوله (طوباكم أيها الجياع الآن لانكم تشبعون) وقوله (الحق أقول لكم اني لا اشرب بعد من نتاج الكرم الى ذلك اليوم حينما أشربه جديدا في ملكوت الله) اهرقس وغيره . وفي الباب الخامس من أعمال الرسل انهم كانوا يكلفون المؤمن ان يبيع كل ملكه ويأتي بجميع ثمنه للرسول وقد أمسك رجل اسمه حانيا بعض ثمن حقل له وأعطى الباقي للرسول فوبخه بطرس وسماه مختلسا فمات حانيا من كلامه

بهذا وبما تقدمه استعد النوع الانساني لفهم الحقيقة الانسانية والقيام بحقيقتها الروحية الجسدية على صراط مستقيم فمنحه الله دين الاسلام فيه تبيان لكل شيء وجعله آخر الاديان فجاء بالحق وصدق المرسلين وجمع بين انواع هدايتهم وارشادهم كما قال تعالى (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وقد خاطب القرآن أهل هذا الدين بقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني

لا يشركون في شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ولم يختلف أحد من أئمة هذا الدين في ان غايته سعادة الدنيا كما في هذه الآية وسعادة الآخرة كما في الآيات الكثيرة وان الاعراض عنه مجلبة للشقاء في الدارين قال عز وجل « ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » فضيق المعيشة في الدنيا من آثار الاعراض عن كتاب الله ودينه وهو دليل على الشقاء في الآخرة بالنسبة لمجموع الالهة ايضا.

فعلم مما شرحنه ان القرآن ما اخبرنا بأنه يستخلفنا بدينا في جميع أقطار الارض نتصرف فيها كما تتصرف الملوك (قاله البيضاوي في تفسير الآية) وانه سخر لنا ما في السموات وما في الارض جميعا منه وما أمرنا بأن نطلب منه حسنة الدنيا والآخرة الا وقد جعل ثمرة دينه كلا الامرين وما جاء في القرآن من ذم الدنيا فهو لتأديب السرفين وكبح جماح المفرطين ولكن من المسلمين من انصرف الى الزلوا في التزهيد عملا بنصف الدين الروحي ومنهم من انصرف الى النصف الآخر وسنيين تلمظ الفريقين « ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب »

﴿فرنسا والاسلام﴾

عجبا للدم الذي تحرك لكلام المسيو هانوتو كيف لم يتبغ الكلام القومندان نابليون في وعجبا للقلوب التي جرحها ذلك كيف لم يذبجها هذا بل عجبا للنفوس التي اضطربت للاول كيف لم يزلل الثاني وجودها زلزالا الا ان قومنا لا يزلون أغرارا يغترون بالطواهر . وينخدعون المظاهر.